

انعكاسات محاولة الانقلاب العسكري ١٥ تموز/يوليو في روسيا

م. د. الياس كمال اوغلي

قسم التاريخ

جامعة الفنون الجميلة معمار سينان

موقف روسيا من محاولة الانقلاب العسكري ١٥ تموز/يوليو في تركيا

إن أول دولة من الدول الأجنبية التي تدين محاولة الانقلاب ١٥ تموز/يوليو في تركيا هي روسيا. وأكد بتصريحه الرئيس الروسي فيلادمير بوتين دعمه لإدارة الجمهورية التركية قائلاً نحن نقف كروسيا ضد كل التدخلات إما كانت من الداخل أو من الخارج. ولدينا إمكانية لتوضيح موقف بوتين كما في النقاط التالية: أولاً كرملين يتعارض على كل الانقلابات و محاولاتها مثل "الثورات الملونة"، و "ربيع العرب"، و نحو ذلك من العمليات على الأنظمة الدستورية، ويؤيد الحكومات المنتخبة و النظمة الراهنة وفقاً لمفاهيمه السياسية الخارجية¹. ومن الممكن أن نعالج هذا النهج في سياقه الخاص.

قد نعرب عن دعم بوتين لتركيا بأنها ناتجة من إرادته لتطوير العلاقات التي تدهورت جراء إسقاط تركيا طائرة حربية روسية. ومن الممكن أن نعبر هذا الدعم خطوة معادلة لخطوة تركيا - أن يقدم رجب طيب أردوغان رسالة إلى عديله الروسي إعراباً عن أسفه على أزمة الطائرة لتليين العلاقات بينهم-. وبعبارة أخرى، خسرو روسيا اقتصادياً كتركيا، ولاسترداد خسارته يسعوراء توفير العلاقات معها². إن إعلان بوتين موقف روسيا بعيداً عن محاولة الانقلاب في أول وهلة وأن يقف بجانب السلطات التركية معبراً عن دعمه حيال العمليات اللا شرعية قد أسفر عن أثر إيجابي في عملية التضامن مع تركيا.

أما العامل الأخير يحدد موقف روسيا من تركيا و أهمها في نفس الوقت، حظر الهيكل معروف باسم "فتو" بعد تمرّد الجنود المنتمين إلى هذا التنظيم فيما بينهم من كبار القادة على الحكومة المنتخبة و توصيفه "التنظيم المتطرف" منذ سنة 2002/2002. قامت السلطات الروسية بإدلاء التصريحات تعبيراً عن موقفها الرسمية من محاولة الانقلاب بعد تفهمهم إن وراء هذه المحاولات هيكله فتو وبعد إدراكهم بأن الجيش التركي لم يشترك فيها كافة إلا مجموعة صغيرة منه، أي ليس برمته. في الواقع قد حدد موقف كرملين الرسمي وجود "فتو" وراء هذه المحاولة وأن يقتنع بأنه تنظيم متطرفة. وبالتالي من الممكن أن نعالج موقف روسيا - رأيه في هذه الاحداث عامة، والعلاقات بين روسيا وتركيا، وموقفه من فتو- في العوامل الثلاثة:

على الرغم من أن النهج الروسي الرسمي هكذا فتم إعرابه في الإعلام الروسي عن محاولة إنقلاب ١٥ تموز/يوليو في صيغ ومعان مختلفة. من الجدير بالذكر أن وجود فتو في روسيا لأن ندرك التعاليق عليها بأفضل شكل.

وجود تنظيم فتو في روسيا

أصبح انهيار الإتحاد السوفياتي والإتحاد الشرقية كتلةً هو إستهلال عهد جديد - عهد الإرتفاع والنمو- للحركة الشهيرة باسم "فتو" اليوم. في أوائل التسعينيات، الإتحاد السوفيتي الذي يعيش أزمات متعددة الإبعاد إتجه إلى عملية لتنعيم العلاقات بينه و بين الغرب،

1 - راجعوا لبحث عن مفهوم السياسة الخارجية الروسية و السياسة الروسية في عهد فيلادمير بوتين الى كتاب الياس كمال اوغلي "عودة موسكو، السياسة الخارجية في عهد بوتين، دار الكتب سبع تلال، استانبول، 2008.

2- راجعوا لبحث عن العلاقات بين روسيا و تركيا الى كتاب الياس كمال اوغلي "هل يستمر العلاقات الروسية و التركية حيثما توقفت" قرار، 11.08.2016.

وعلى هامشها إنجاز الإنفتاح الديمقراطي. وفي هذا الإطار أتيحت فرصة للمؤسسات الأجنبية بتشكيل الهياكل مثل الجمعيات والاقواف والمدارس. خلال هذه الفترة القطاع إستغل من هذا الوضع بأفضل شكل هو كان جماعة فتح الله كولن (حين ذلك كان اسمه هكذا). بدايةً فُتحت عشرات المدارس في المناطق التي يعيش فيها الأتراك والمسلمون أغلبية -إيديل ، أورال ، قفقاز الشمالي و سيبيريا - ، ثم أضيف إليها المدارس في موسكو و سانت بيطرسبورغ . بعد تفكك الإتحاد الجمهورية الإشتراكية السوفياتي حظيت هذه المدارس التي سبق بحثها بأهمية كبيرة في الجمهوريات ظلت تابعة بالإتحاد الروسي ولاسيما³ . كانت هذه المؤسسات في رأي الناس الذين عاشوا تحت ضغط السوفييتي حوالي سبعين سنة ولم يدركوا فحوى الجماعة-الطريقة مدارساً لتركيا كأخ و مسلم. في الأونة الأولم ترفض السلطات الروسية المركزية إنشاء هذه المدارس و توفير نشاطاتها كأنها مؤسسات التعليم فحسب ولا تعني بأمور أخرى ، بأنها كانت متزامنة مع تطوير العلاقات بين روسيا و تركيا . وعلاوة على ذلك سجلت العلاقات ترقية بتأسيس المنظمات العلمية في روسيا نحو حوار أوراسيا مع روسيا و مركز الثقافة التركي الروسي والمنظمات لأعمال الرجال مثل توسجون⁴ . وكان لها سببان مهمان : أولهما، إستيطان فتح الله كولن في أمريكا سنة 1999/1999 . و هذا الشأن لفت لفت إنتباه السلطات الروسية ولاسيما أجهزة الإستخبارات الروسية باسمها القديمة لجنة أمن الدولة الروسية "كيه جي بي" واسمها الحديثة جهاز الأمن الفيدرالي الروسي (خدمة الامن الإتحادي) "اف سي بي".

وأما السبب الثاني للتحويل في روسيا هو تغير الحكومة وتغير السياسة متعلقاً بهذا التحول والإفتاح . شرع فيلادير بوتين الذي يتولى الحكم من بوريس يلتسين سنة 2000/2000 أن يستجوب عن النظام الأحادي لصالح الولايات المتحدة الأمريكية في السياسات الخارجية كما بدأ أن يوحّد الحكم تحت سيطرته و يتشكل السياسة الشمولية في السياسة الداخلية أيضاً. وما تترتب عليها ممارسة رقابة صارمة على المدارس والمؤسسات الأجنبية. وقعت الحادثة الأخيرة تحدد مصير المدارس كولن في سنة 2002/2002. زعم رئيس جهاز الأمن الفيدرالي نيكولاي بطروشف أن هناك رابطة خفية للأوقاف والجمعيات بوكالة الاستخبارات المركزية "سي أي إي" كمؤسسها، حتى بينهم التعاون في إجراء أعمال إستخبارية⁵. بعد هذا التاريخ شرع إغلاق المدارس في داخل الإتحاد الروسي. وبالتوازي مع ذلك تم طرد الموظفين يشتغلن فيها لمصالح فتوالى الخارج البلاد ، وتم حظر الدخول عليهم إلى روسيا ، وأعتقل بعضهم ، وتم إزالتهم من وظائف الحكومة، و توصيف هذه المنظمات بالمنظمات المتطرفة سنة 2008/2008. وحظرت كتبهم سواء كانت لفتح الله كولن أم لسعيد النورسي⁶.

بالرغم من إعلان هذه الجماعة منظمة مفرطة فهي لا تزال أن تنفذ أنشطتها في إطار الجمعيات والمراكز المختلفة في روسيما كانت بمستويات محدودة. هذه من الممكن ، لأن المعتقدين بهذه المنظمة المتطرفة أغليبتهم قد حصلوا على المواطنة للإتحاد الروسي بأنهم متزوجون من مواطني روسيا. وأما المنهج الأخير يمارسونه في الأونة الأخيرة فهو الرشوة و"التغذية". "فتو" يدعم مشاريع الأشخاص البارزين بأرائهم في مجال عملهم ويكافأ بأخذهم إلى تركيا في أول الأمر، ثم إلى أنحاء العلم كلها - لأن ظروف النظام في روسيا كانت مؤاتية وملائمة لمثل هذه الممارسات اللا شرعية الفاسدة - ، و عوضاً عن ذلك يستغل بهم وضع أسمائهم في معرض تنظيمه المفرط . بعبارة أخرى هؤلاء المثقفون يقيون بدعاية فتح الله كولن في روسيا والبيئات العلمية الدولية. بعد محاولة الإقلاّب ١٥ تموز/يوليو اتخذ المنتسبون إلى تنظيم فتو ومعرضه من المثقفين منهاجاً متغيراً من مناهج المسؤولين الرسميين في روسيا.

محاولة الإقلاّب ١٥ تموز/يوليو و الإعلام الروسي

عبر إعلام روسيا عن محاولة الإقلاّب ١٥ تموز/يوليو بالصيغ المتنوعة. قد نتحدث في هذا السياق عن ثلاث مجموعات رئيسية لإعلام روسيا. المجموعة الأولى منها هي مجموعة تتكون من وسائل الإعلام و الصحفيين يعبرون عن آرائهم طبقاً لآراء السلطات الروسية ، أي تعكس الآراء الرسمية في صحفهم كما هي، وفي نشرياتهم يدينون محاولة الإقلاّب ويدعمون خطوة كيرملين . وأما

3- أدوارد تشنكوف ، ودوخنوبيتل برووراطه و تورستي ، أغنت تي اس آر يو أي بروبودنيك - ملياردر س بيزنسون و روسسي؟ كونسومواسقايا براوضه، 17.07.2016

4- راجعوا إلى "اكسبرت اوكني بحروسكي ، كولن ك بروروتو و تورنسي اوطنوشنيا نه أمات" موسكوسكي كومسولتس ، 13.07.2016

5- روسقايا أف سي بي أوقاظلاسي برافا ؟ فتح الله كولن -بروودنيك إنترسوف أس تشي أي إي إزرائيليا ؟ غولوس إسلامه، 26.03.2014
www.goloslama.com/news.php?id=22750

6- أس وي مونسييف "أنستر مستقايا أورغئيزاتسيا "نورجولار" : إستوريا برواسخوز دنيا ، دييتلنوستي " ألتايسكي يورديتشسكي وستنيك نو 12 ، 2015 ، ص. 12-16.

المجموعة الثانية هم مؤيدوا التطرف يتكونون من العنصريين الروسيين وجماعة المهجر من الأرمن والأكراد. أهم شئ عندهم هو إبداع و إنجاز التطورات السينة في تركيا ، ويصارع مع المشاكل في سياستها الداخلية والخارجية دائما وإنكماشها إقتصاديا. وعلى هامش هذا الأمر واصلوا على سياساتهم بالقذف حول أزمة الطائرة. لأن غرضهم الرئيسي القذف بتركيا من خلال الصحافة. و بهذا السبب أشاعوا الأخبار السلبية المزورة عن المتظاهرات والاحتجاجات شهدت في تركيا بالمبالغة، كأن قد إندلعت الحرب الأهلية. ومن المنطلق نستطيع أن نستنتج مغزى مقولتهم بأنه خلق الإنطباع في الرأي العام العالمي عن محاولة الانقلاب أنها ناتجة عن الأحداث السينة والضغط السياسية تسببها الحكومة الراهنة . و من أهم أعراض المجموعة الثانية هو الحجز عن تطوير العلاقات بين تركيا وروسيا. لأن ظهور المعانات في العلاقات الروسية التركية، وعلاوة على ذلك أن يعطي المزيد من الأهمية لقضية الأرمن و الأكراد من قضايا تركيا وهو يعني أن روسيا سيحاول هذه القضية معتمدا على منهج خاص تماما. والغرض الآخر لهذه المجموعة هو منع السُيَّاح الروسيين من زيارة تركيا. تحقيقا لهذه الغاية نشروا الأخبار عن الأحداث في البلاد من قبل المجموعة الثانية كأحداث هامة كأنها بمستوى الكارثة ولو كانت ضئيلة وبلا أهمية . أما التطورات الإيجابية لم يذكروها في جرائدهم حتى بكلمة واحدة و لم يعتنوا بها على الإطلاق.

وأما المجموعة الثالثة فهي تتكون من منتسبي التنظيم سبق ذكره في الأعلى وحاولنا أن نشرح ماهيتها ومن الأشخاص الذين يستعملهم التنظيم معرضا هم إشتراكوا في سياسة المجموعة الثانية بالقذف بنشرااتهم ونقادهم بأنهم الكُتَّاب والنقاد. وإذا تأملنا نجدهم أخطر مجموعة في نفس الوقت. لأن الذين في معرض التنظيم هم المثقفون من أكاديميين، والخبراء في ثقافة الأتراك، والمستشرقين ، والآخرين من نخبة الأمة. وبعبارة أخرى هم يعتبرون من خبراء تركيا. ها هو منتسبو المجموعة الأخير شرعوا سياسة القذف بالرئيس رجب طيب أردوغان و حزب العدالة والتنمية بعد ١٧-٢٥ كانون الأول. وهم يزرعون في تأليفاتهم الفكرة بأن السياسة تُمارس في تركيا مناهضة ومعادية للديمقراطية ، وأن الفساد المالي والإداري يزداد، وأن الشعب ينزعج ويميل من السلطة الراهنة و لذلك يحتجون عليها دائما ، وأن محاولة الانقلاب هي مسرحية قامت الحكومة بتمثيلها .

بيد أن أهم شئ في روسيا موقف السلطات الرسمية وبياناتهم. لأن معظم أجهزة الإعلام تحت إشراف الدولة وتعكس رأي كيرملين. قد نفذ ممثلو تنظيم فتو هذا النهج خلال إحتجاج المتظاهرون على الحكومة وأزمة الطائرة النفثة وحتى خلال وقف روسيا بجانب حكومة تركيا لتحسن العلاقات بينهما.

يبدو أن تقارب روسيا مع تركيا سٌيُصعد العلاقات بمستوياتها القديمة في قصير الأمد. لأن وضع التعاون و التضامن بين روسيا و تركيا في المجالات المختلفة نحو السياسة والإقتصاد والطاقة قد ارتكز على محل الجد، يشير إلينا أن هذه العلاقات مطوية على التضامن العلمي والثقافي، ولا تزال متطورا وستحظى بأهمية كبيرة بعد هذا التاريخ . وبالتالي سيأتي أمر ذو أهمية خاصة، وهو إنشاء جامعة مشتركة . التضامن سيتطور في مجال العلم و الثقافة سسيكون حاجزا عن معارضي التضامن الثنائي وعن إقتداء المجتمع بالمنظمات مثل هذه كما سنزِيل مشكلة نقص التفهم بين طرفين.